الموروث الثقافي الشفوي التبسي ودوره في ترسيخ أحداث الثورة التحريرية الجزائرية 1954- 1962 م من خلال الشعر الشعبي لأولاد سيدي عبيد الشريف.

The Oral Cultural Heritage and its role in the consolidation of the events of the Algerian liberation revolution 1954-1962 through the popular poetry of the ouled of Sidi Abid Cherif.

صص-99-120

الدكتورالية طعبه حورية.
taaba.his@yahoo.com
د.عبد المالك بوعريوة
قسم العلوم الانسانية.
جامعة أحمد دراية، أدرار، الجزائر.

تاريخ الإرسال: 2019/06/06 تاريخ القبول: 2019 /09/22

الملخص:

لعبت القصيدة الوطنية الفصيحة دورا بارزا في شحذ الهمم والتعبئة الشعبية خلال المقاومات والثورات الشعبية، وأرخت لأحداث تاريخية هامة ومتنوعة، وكانت مصدرا للباحثين، كما أعطت بعدا للتاريخ الثقافي في الجزائر، إلى جانبها كانت قصائد الشعر الملحون أو الشعر الشعبي الذي عرفه الجزائريون منذ وقت طويل طغى في بعض الأزمان على الفصيح، ساهم بقسط وافر في إثراء التاريخ الجزائري، ولم يكن أولاد سيدي عبيد في منأى عن ذلك حيث زخر موروثهم الثقافي بمئات الشعراء الذين تركوا قصائدهم التي كانت شاهدا على تجسيد الأحداث وواصفة الوضع في الوطن أو في هذا العرش أو غيره، كما جسدت قصائد شعرائهم وقائع الثورة التحريرية بالمنطقة

وصداها على مستوى الوطن وذكرت شخصياتها الفذة، وهذا دلالة على البعد التاريخي والثوري الذي يتميز به شعراء هذه المنطقة.

الكلمات المفتاحية: الثورة- الشعر الشعبي- أولاد سيدي عبيد-المعارك- المحتشدات.

Abstract

The patriotic poem played an important role in sharpening popular mobilization and mobilization during popular revolutions and revolutions. Also gave a dimension of cultural history in Algeria at its side was musical poetry or popular poetry, which has known the Algerians long eclipsed in some time on the eloquent poetry and significantly to enrich the history of the Algeria and ouled Sidi Abid were not spared from this event where their cultural heritage swarm with hundreds of poets who left their poems, which was a witness to the realization of events and the situation of the country. The poems of the poet also reflect the events of the liberation revolution at the country level and mention its unique characteristics. This is an indication of the historical and revolutionary dimension that characterizes the poets of this re.

Key words: Revolution- Popular Poetry- Ouled Sidi Abid- Battles- Camps.

مقدمة

أبدع المؤرخون في تدوين تاريخ الجزائر من خلال كتاباتهم المتنوعة في مجالات السياسة والاقتصاد والاجتماع والثقافة نذكر منهم أبي راس الناصري والمؤرخ أبو القاسم سعد الله ومولود قاسم نايت بلقاسم وغيرهم، كذلك خلّد الأدباء الأحداث التاريخية في مؤلفاتهم خاصة الشعراء منهم وذلك باللسان والقلم، فالشاعر في زمنه لسان حال قومه؛ يدون أحداث عصره المتنوعة من بطولات وانتصارات وأمجاد سواء كان الشعر فصيحا عموديا وحرا أو شعبيا (ملحونا)، فقد لمعت أسماء مثل ابن مسايب التلمساني، وسيدي بن علي في هذا الميدان وكلاهما في القرن الثامن عشر،

أما في القرن التاسع عشر فنجد شعراء سجلوا بعض خواطرهم في الأحداث الهامة، كما فعل الشيخ عبد القادر الجزائري في قصيدته عن احتلال الجزائر، يضاف لهم شعراء الثورة التحريرية من أمثال محمد العيد آل خليفة ومفدي زكرياء.

بداية لقد ارتبط الشعر الثوري العربي عموما بالثورات العربية والمقاومات الوطنية، حيث كانت شعارات التحرير تمثلها القصائد والأغاني الحماسية وذلك لتعبئة الجماهير وجمع كلمتهم حول مبادئ ومثل عليا مثل التضحية والفداء وحب الوطن، فالشاعر يقوم بعملية استقطاب لما يجري حوله من أحداث ومواقف مترجمة في شعره يعبر عنه ليضفي بذلك طابع الحركية عن كل ما ينقله لنا من تصورات لما يحدث حوله، معتمدا على نمط الكم والكيف في نقل الأحداث[1].

أما في الجزائر وكغيرها من الدول العربية والإسلامية فقد عرفت هذا النوع من الشعر منذ دخول المحتل الفرنسي إلى الجزائر العاصمة وإمضاء معاهدة الاستسلام بتاريخ05 جويلية 1830 م[2]، وكان الشعر قبل هذا التاريخ أي خلال العهد العثماني ملحونا أكثر منه فصيحا، إذ يذكر المرحوم الأستاذ أبو القاسم سعد الله أن الشعراء لجأوا إلى الملحون بدل الموزون أو الفصيح[3]-، واستمر إلى غاية ما بعد الحصول على الاستقلال بتاريخ 05 جويلية 1962 م، إدراكا من الشعراء بأهمية تسجيل الأحداث التاريخية ونقلها صحيحة وحقيقية.

1- التلي بن الشيخ: **دور الشعر الشعبي الجزائري في الثورة1830-1945**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1983 ص99.

2- هناك قصيدة مشهورة بعنوان "**دخول الفرانصيص للجزائر**" للشيخ عبد القادر، مطلعها: بالحمد نبتدا ذا القصة ونعيدها***استغفروا وتوبوا يا مسلمين.

3- أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي 1550- 1830**، ط01، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1998، ج02، ص242.

فلقد جسدت قصائد الشعر الشعبي الجزائري عامة وشعر أولاد سيدي عبيد[1] خاصة بولاية تبسة[2] أصدق الصور ورسمت أروع اللوحات، فقد حمل الشعراء على عاتقهم مسؤولية كشف مكر ودسائس العدو الفرنسي وسياسته المجحفة في حق الجزائريين، إضافة إلى بث روح المسؤولية والحرية والعيش الكريم في نفوس الشعب الجزائري عامة، وفي ذلك تغنى شعراء المنطقة بإسلامهم وافتخروا بوطنيتهم الجزائرية وعروبتهم ونسبهم الشريف الذي ينتهي إلى الحسين بن علي وفاطمة الزهراء بنت الرسول صلى الله عليه وسلم.

لقد وصفوا لنا معارك جيش التحرير الوطني وانتصاراته على الجيش الفرنسي، ومدحوا أبطاله الأفذاذ، كما شجبوا كل الممارسات القمعية الفرنسية وإجراءاتها من إقامة للمحتشدات وبناء للسجون وإنشاء للأسلاك الشائكة المكهربة والخطف والسجن والتعذيب وغيرها.

يزخر عرش أولاد سيدي عبيد الشريف بعدد كبير منَ الشعراء الشعبيين منْ بين شعراء منطقة تبسة الكثر، ومنهم نجد الشاعر المجاهد المرحوم "علي أحمد بن سعد"[3] الذي عايش الثورة التحريرية الجزائرية 1954 م-1962 م مصورا أحداثها في

1- ينسب أولاد سيدي عبيد إلى سيدي عبيد الشريف بن خذير المشهور بـ"قويدر" يجتمع نسبه مع نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم ووالدته هي فاطمة بنت العكرمي. للاستزادة ينظر رزايقية محمد الصالح: **أضواء على تاريخ سيدي عبيد الشريف**، دار هومة الجزائر، 2011، ص ص75، 76.

2- صدر قرار من الحاكم العام في 29 ديسمبر 1884 تم بموجبه إنشاء بلدية مختلطة جديدة تحت اسم بلدية تبسة المختلطة خارج نطاق بلدية تبسة كاملة الصلاحيات. للتفصيل ينظر عبد الوهاب شلالي: **نظرات فاحصة في تاريخ تبسة وجهاد أهلها في القرن 19م؛ دراسة تاريخية من خلال الكتابات الفرنسية**، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2006، ص133.

3- ولد سنة 1934 م بمنطقة القصير بأولاد سيدي عبيد شمال شرق بئر العاتر، أمه علي برنية بنت عبد الله، سمي تيمنا بالشاعر الكبير ربيعي أحمد بن عبد الله لن ميلاده تزامن ووفاة هذا الشاعر، التحق بالثورة التونسية سنة 1953 م وعمره 19 سنة، ثم التحق بالثورة الجزائرية سنة 1955 م، أصيب في قدمه اليمنى خلال معركة سنة 1957 م في منطقة الماء الأبيض التي تبعد عن تبسة بحوالي 30 كم، بعد تماثله للشفاء أشرف على عملية التمويل

قصائده، مادحا ومفتخرا وواصفا بعضا من وقائعها، معبرا عن آلام سكان المنطقة عامة وأولاد سيدي عبيد على الخصوص، فقد حمل السلاح مجاهدا في سبيل الله ومدافعا عن وطنه الجزائر، كما شد أزر إخوانه المجاهدين بقصائده، وتضامن مع السكان في معاناتهم، مؤرخا لأحداث ومعارك الثورة وممجدا لقادتها، إلى جانبه نجد الشاعر "عباس يونس بن سلطان"[1] رحمه الله الذي كان بدوره نشطا في حزب الشعب

والتسليح رفقة المجاهد المرحوم ثابت لعبيدي وكذلك أحمد توارس، التحق بعد الاستقلال بالمحافظة السياسية إلى غاية 30- 10- 1963 م حيث حصل على شهادة مدرس، طاف عدة ولايات منها سطيف، تبسة وسكيكدة، إلى أن تقاعد من الجيش الوطني الشعبي سنة 1969 م، أصيب بمرض عضال في جوان 2004 م ألزمه الفراش، توفي يوم الجمعة 17- 09- 2004 م، شيع جثمانه بتاريخ 18- 09- 2004 م، ودفن بمقبرة رجال البير ببئر العاتر. علي أحمد بن سعد: **سجل أشعار**، جمع: علي خالد، غير منشور، ص05.

1- مولود بدوار العقلة الجديدة بلدية أولاد سيدي عبيد، بئر العاتر حاليا سنة 1898 م، وككل أترابه تلقى جزءًا يسيرا من العلم على يد شيوخ المنطقة في الكُتّاب، لمع وسطع ذكاؤه منذ صغره، تَتَبّع خطوات شعراء عصره مثل: الشاعر الكبير أحمد بن عبد الله ربيعي وبوقرة محمد الصالح وسي لحمادي، شغفه بالشعر جعله يخوض غماره منذ صغره، حتى باركه وبارك قوله كبار الشعراء سافر إلى تونس والتقى بعضا من شعرائها، تخصص في الذكر والغزل حتى أصبح نجم الأفراح والأعراس لأنه من أشهر بل أكثر من قال غزلا أحسن فيه الوصف، زد على ذلك كان بارعا في الرباط أي كان يجيد ختم قصائده بالبيت القفل، وإذا حدث وربط غيره السهرة أو الشعر أو الغناء ببيت قفل فإنه بسهولة وبساطة يفتحه، ويواصل النظم على نفس المنوال وفي نفس القافية والغرض والروي وبسهولة تامة، وهو كهل في السادسة والخمسين اندلعت ثورة التحرير فآزرها ثم ساندها ثم التحق بها شاعرا ومجاهدا يُجاهد بالبندقية، كما يقاوم بالكلمة، قال الشعر في معظم أبطال الثورة ورجالها حتى أصبح أكثر من قال ونظم في المجاهدين، أفرد موهبته كلها لإيقاظ الحس الثوري ومحاربة العساكر الغاصبين الفرنسيين، بعد الاستقلال تفرغ للذكر والزهد والتصوف، لكنه ما تخلى عن الغزل رغم أن الحاج يونس بن سلطان كان من المكثرين جدا إلا أنه لم يستغل الفرص والمناسبات لتصدير شعره خارج منطقته، عاش كريما، شخصية بارزة جدا، من أكبر أعيان المنطقة عمّر طويلا حيث عاش 102 سنة، وبقي في صحة جيدة ويقول الشعر ويحيي السهرات إلى آخر لحظة من عمره، توفي رحمه الله تعالى سنة 2000 م ببئر العاتر. ربيعي محمد الزين: حصة "فخار زمان"، مسجلة مع عباس محمد ابن الشاعر المرحوم بالعقلة الجديدة لإذاعة تبسة، مارس 2006 م.

الجزائري ثم حركة الانتصار للحريات الديمقراطية فمجاهدا في صفوف جيش التحرير الوطني بمجرد انطلاق الثورة، وكذلك الشاعر المرحوم "ربيعي الصادق بن محمد"[1]، إضافة إلى شعراء آخرين من أبناء جيل الثورة التحريرية.

وبالنسبة لمنطقة تبسة وبالضبط في بئر العاتر[2] ومن خلال الاطلاع على الموروث الشعبي الشفهي والمتمثل خاصة في الأغاني الشعبية، والتي هي عبارة عن قصائد غنائية ملحنة قد تكون مجهولة النشأة، بمعنى أنها نشأت بين العامة من الناس في أزمنة ماضية وبقيت متداولة ومتناقلة شفاهيا منذ أزمان طويلة[3]، وقد أورد الباحث "محمد سعيد" في كتابه "قراءات في أغاني الرحى" تعريفا للأغنية الشعبية فيقول: "إن الأغنية الشعبية هي تلك الأغاني التي تصدر عن الرجال والنساء على السواء، وتكون خالية من التعقيد فيسهل حفظها ولها نغمة موسيقية وهي تتناقل بين الناس فتنسب إلى شعب ويُنْسَى مبدعها وهي تعكس مشاعرهم"[4].

1- ابن إبراهيم مولود سنة 1910 م بدوار القليتة بلدية أولاد سيدي عبيد، ومسجل ببلدية أولاد سيدي عبيد (بئر العاتر)، تلقى سنة 1916 م تعليما أوليا وبدائيا في الكتاب أي الجامع وحفظ ما تيسر من القرآن الكريم امتهن الفلاحة والتجارة، ساند الثورة التحريرية ومدح رجالها ونظم فيهم القصائد وجمع لها الأموال، كان شاعرا مكثرا جدا أوصله شعره لمقابلة الرئيسين الراحلين أحمد بن بلة سنة1965 م وهواري بومدين سنوات: 1967 م، 1969 م، 1974 م، وقد أعجبا بشعره وأهداه بومدين برنوسه وأكرمه وطلب منه الإقامة في العاصمة إلا انه رفض متمسكا ببداديته قائلا: أنا تبسة بلادي وسكنتي في العنق منها غادي** بلاد الفراسين والبوادي. ورجالها يلعبوا المقرونة** ما يخافوش الموت يوم الصادي. نال عدة جوائز منها 4 جوائز أولى بالجمهورية التونسية بين سنتي 1970 م و 1976 م خاصة بمهرجاني دوز وتوزر، وقد كان من بين أبرز أعيان المدينة توفي رحمه الله سنة 1986 م ببئر العاتر. محمد الزين ربيعي: حصة "فخار زمان" مسجلة مع ابنة المرحوم بإذاعة تبسة سنة 1996 م، ومع صديقه بونوارة سعد نوفمبر2008 م.

2- أهم دوائر ولاية تبسة تبعد عن مقر الولاية بحوالي 90 كم إلى الجنوب عبر الطريق الوطني رقم 16.

3- مجدي محمد شمس الدين: **الأغنية الشعبية بين الدراسات الشرقية والغربية**، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، مصر، 2008 ص01.

4- محمد سعيد محمد: **قراءات في أغاني الرحى**، اللجنة العلمية الشعبية العامة للثقافة والإعلام، بنغازي، ليبيا، 2006، ص10.

والشعر الملحون أو العامي كما ذكره الأستاذ أبو القاسم سعد الله[1] أو الشعر الشعبي كما يحلو لأبناء المنطقة تسميته والذي يأخذ عديد الصور والأنواع، وجدناه ثريا بالبعد التاريخي الحاضر في قصائد كل شعراء المنطقة دون استثناء، حيث تغنى هؤلاء الشعراء بالثوار والمعارك التاريخية والمواجهات بين المجاهدين وقوات الاحتلال الفرنسي، كما مدحوا وذكروا في قصائدهم بعض الشخصيات الجزائرية العسكرية والسياسية وذكروا الشعب بالنهاية الحتمية لهذا المحتل، لذا سنتطرق إلى دراسة أشعار كل من الشعراء "علي أحمد بن سعد" و"عباس يونس بن سلطان" و"ربيعي الصادق بن محمد" وغيرهم كنماذج لهذه الدراسة.

1- المجال الجغرافي لعرش أولاد سيدي عبيد.

هو أحد أعراش تبسة، يشمل مجال جنوب تبسة وأجزاء من شمالها إلى جانب منطقة الوسط والجنوب الغربي للبلاد التونسية، يضم هذا الفضاء منطقتين طبيعيتين متكاملتين هما: الهضاب العليا والسباسب من الجهة الشمالية والواحات والشطوط التي تلتحم بالمجال الصحراوي من الجنوب، يتكون هذا الفضاء من الجانب الجزائري من: تبسة وبكارية والماء الأبيض وصفصاف الوسرى وبئر العاتر وقنتيس، أما في الجانب التونسي فيشمل: توزر ونفطة وواحات تمغزة وميداس والشبيكة، إضافة إلى المدن المنجمية خصوصا الرديف والمتلوي[2].

وبخصوص الحدود البشرية للقبيلة يحيط بأولاد سيدي عبيد من الجهة الشمالية أولاد سيدي يحي بن طالب المنتشرون بجهات المريج وونزة وجبل بوخضرة، ومن الشرق أولاد بوغانم المستقرون حول قلعة سنان التونسية، أما من الجهة الغربية فيحدهم عرش العلاونة والبرارشة وأولاد رشاش من قبيلة النمامشة، ومن

1- أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ص239.

2- الأزهر الماجري: **القبيلة الولائية والاستعمار: أولاد سيدي عبيد والاستعمار الفرنسي في الجزائر وتونس 1830 م- 1890 م: مسار التفكيك وآليات المقاومة**، المطبعة المغاربية للطباعة والإشهار، تونس، 2013، ص17.

الجهة الجنوبية تحدهم قبائل السوافة وطرود، ويلتحم أولاد سيدي عبيد من جهة الجنوب الشرقي بقبائل الفراشيش والهمامة، لذا يتداخل أولاد سيدي عبيد ومجالهم مع مختلف هذه المجموعات ومجالها بشكل يصعب فيه الفصل أو الحديث عن الحدود[1].

02- التعريف بعرش أولاد سيدي عبيد.

أحد أعراش ولاية تبسة نسبة إلى عبيد الشريف بن خذير- الذي أتى من تلمسان- ابن عبد العزيز بن سليمان، بن سالم- الذي أتى من الساقية الحمراء لطلب العلم، ثم انتقل إلى تلمسان وخلف هناك ذرية- ابن إبراهيم، بن عبد الحليم، بن عبد الكريم، بن بن عيسى بن موسى، بن عبد السلام بن محمد بن عبد الجبار، بن محمد بن أحمد بن عبد الله، بن مولاي إدريس الأصغر بن إدريس الأكبر، بن مولاي عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط، بن علي وفاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا الشرف أراد الله وكتب له البقاء وذلك الشرف جاء من الحجاز وتحديدا من المدينة المنورة إلى أن وصل إلى المغرب الأقصى، ومن هذه الذرية إدريس الأكبر[2] وابنه إدريس الأصغر[3].

يتكون عرش أولاد سيدي عبيدي من دوارين هما:

01- دوار الماء الأبيض: الذي أنشئ بمرسوم مؤرخ في 15 ديسمبر 1869

02- دوار أولاد سيدي عبيد: وكانت القبيلة المقيمة به، قد لجأت إلى تونس سنة 1843 ثم عادت إلى إقليمها في التراب الجزائري سنة 1892، بلغ عدد الخيم 1200 خيمة[4].

1- نفسه: ص18.

2- للتفصيل ينظر عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي: **البداية والنهاية**، ط01، دار الإمام مالك، الجزائر 2006، ج 03.

3- الهادي بشوات: **كتاب التعريف بالشيخ سيدي عبيد الشريف**، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، د.س، ص07.

4- بيار كاستال: **حوز تبسة**، تر: العربي عقون، مطبعة بغيجة حسام، الجزائر، 2010، ص ص291، 292.

والحقيقة أن سيدي عبيد الله يعتبر المربي الروحي لأبناء أخيه أحمد بن خذير، ولهذا ينسب العرش إليه سواء أبناؤه أو أبناء أخيه، لأن عبيد الشريف أنجب إبنا واحدا سماه "ذويب"، أما أحمد فقد وهبه الله تسعة أبناء وهم: ضيف الله، محمد، بلهادي، عمارة، بالنور، السعود، أحمد، بلقاسم وعبد الله، خلف بلهادي بن أحمد من بين أولاده الولي عبد الملك الذي رزق بثمانية عشر ولدا شكلوا بطون عرش أولاد سيدي عبيد، وهم على التوالي: خذير، عبد السلام، النور، موسى، عمارة، سعيد، عبد الله، عبد الرحمان، خشاش، سليمان عمر، عمران، عبد الرزاق، عبد الباسط، إبراهيم، محمد الصغير، امحمد ومنصور[1].

03- البعد التاريخي الثوري في الشعر الشعبي لأولاد سيدي عبيد.

أدرك شعراء المنطقة أهمية الأحداث التاريخية عامة وأحداث الثورة التحريرية خاصة فقاموا بنظم القصائد ترصد وقائع الثورة ومعاركها وانتصاراتها، فالبعد التاريخي حاضر بقوة في معظم هذه القصائد، وكذلك البعد الثوري الذي يطغى على بعض قصائد الشعر الشعبي لأولاد سيدي عبيد والغرض من ذلك بث الحماس والروح الثورية بين المجاهدين وكذلك بين أفراد الشعب الجزائري الذين تبنوا التعبئة الشعبية لإنجاح الثورة التحريرية، وأكدوا في قصائدهم على أن العنف الثوري وحده هو السبيل الوحيد لاسترجاع السيادة الوطنية وإخراج العدو من أرض الجزائر، وأن ما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة، لذلك كانت القصائد مليئة بعبارات التضحية والفداء بالمال والنفس.

فهذا الشاعر الحاج "علي سعد بن عبد الله" رحمه الله يستحضر بطلا من أبطال المنطقة وهو المجاهد المرحوم "بوزنادة بلقاسم"[2] المدعو "بلقاسم قلبي"، مستهلا

1- بيار كاستال: المرجع السابق، ص ص13، 14.

2- ولد سنة 1907 م بأولاد سيدي عبيد، شارك في الثورة التونسية سنة 1954 م في مجموعة كان يقودها وناس ثابت، عاد إلى الجزائر ومعه سلاحه، شهد جل المعارك ومنها معركة الجرف الكبرى 22 أكتوبر 1955 م، عرض عليه الرئيس الراحل هواري بومدين بعد الاستقلال مسكنا في العاصمة لكنه رفض ذلك، انتقل إلى رحمة الله بتاريخ 26

قصيدته بالحديث عن جيش التحرير الوطني وتمجيد معاركه والدعاء له بالنصر، ثم يتطرق إلى خصال وشجاعة المجاهد وكيف يواجه الجنود الفرنسيين بشجاعة وإقدام دون خوف أو وجل، شارحا ما يقوم به خلال المعركة، مذكرا بخصاله المعروفة مغربا ومشرقا.

كانت شجاعته منقطعة النظير ومضرب الأمثال وحديث العام والخاص، عرف عنه أنه لا يعرف القتال إلا واقفا، لذا يعمد أصحابه في بعض الأحيان إلى شد وثاقه، شهد له أبطال الثورة وقادتها بالشجاعة وبعدد الطائرات التي أسقطها حتى غدا معروفا لدى كبار قادة الثورة بدءا من سيدي حني وعباس لغرور وبشير شيحاني وغيرهم[1].

فيقول:

حزب الجندية[2] الله ينصر حزب الجندية دنوا[3] في الكفار قصية

جيش المدرب سبع سنين وهو متغرب في الكفرة[4] يضرب ماذا طيب من كساح[5]

بلقاسم لشنب[6] عمرو لاذل ولاحسب في العدية[7] يعطب متبين[1] للحرب شباح

جانفي 1968 م. محمود براهم: **سيرة الشيخ سيدي عبيد الشريف والتأثير الديني والجهادي لزاويته**، (د.د.ن)، الجزائر، 2005، ص ص220، 227.

1- محمود براهم: المرجع السابق، ص ص222، 223.

2- يقصد جيش التحرير الوطني وجنوده.

3- فعلوا.

4- الكفار ويقصد بهم الجيوش الفرنسية.

5- أشداء.

6- له شارب.

7- الأعداء.

كي يعود يكركب[2] توحى كان الحب[3] يذبذب وصباعو تلعـــب على الأقراص أراح أراح

في الكفرة يقلب يجبد في أخبالهم[4] ويسلب غلاب ويغلـــب[5] وإذا ما شفتيش[6] أرتاح

كي يلغط[7] يرعب من صوتو لمار[8] تحسب ودور وتهـــرب وتخلي كان المطـــراح[9]

خصلاتو تعجب شايد في المشرق والمغرب بالجيش يحـــرب ومعاه طراشين[10] سمـــاح[11]

وهذا الشاعر الحاج عباس يونس بن سلطان يصف حال القهر والذل والسياسة التي فرضتها فرنسا على الجزائريين وطبقتها لخنق الثورة، والمتمثلة في تقسيط المواد الغذائية وفرض حصار غذائي شديد على المواطنين حتى لا يزودوا المجاهدين بالمؤن[12].

يا طير بالله بـــره خفق[13] او خفف الطيره

1- مستعد.

2- يطلق الرصاص متواليا.

3- الرصاص.

4- يقتلهم.

5- منتصر وينتصر.

6- إذا لم تر.

7- يصيح.

8- قادة المعارك.

9- أرض المعركة.

10- شبان صغار السن وشجعان.

11- محمد الزين ربيعي: حصة فخار زمان، إذاعة تبسة الجهوية، 06- 12- 2006 م.

12- يحي بوعزيز: **ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين**، ط01، دار البعث للنشر والتوزيع، قسنطينة، 1980، ص194.

13- اذهب.

هاذ الحقايق الحـــــره زوز[1] البحر والبحيـــره
ذقنا المطاعم المـــــره من اوقات شومه[2] شريره
وافرانسا قول ضـــــره[3] حكمت[4] علينا الذخيره
في العمر تزهـاش[5] مره الآخر الكله نكـــــيره[6]
المغلوب ديمه الـــــبره تعرف أحوال الضريـــره
من بعد كره او جـــره لا خنات بعد النذيـــره
للعيب ظاهر اتعـــره الله يخون خاين عشيـــره[7]
او خرطت علينا لقوره[8] او شفنا غرايب كثيـــره[9]

كما يصف لنا الشاعر نفسه ما آلت إليه أوضاع الجزائريين عامة وأولاد سيدي عبيد خاصة وذلك بعد فرض حالة الحصار وبناء المحتشدات فيقول:

عملوا لينا تحديد[10] خلف التجويـــد عس هاو موديل اجديد[11] ربي رادلنا
توحه كان التغريد[12] الطياره اتميـــد والشيران[13] اهداهيد من هيه اومنـــا

1- اقطع البحر والبر.
2- غير حسنة.
3- شبه فرنسا بزوجة الأب الشريرة.
4- منعت.
5- تزهو وتفرح.
6- نكد.
7- يقصد الحركى والقومية.
8- يقصد الفرنسيين.
9- عباس يونس بن سلطان، سجل خاص بالأشعار، جمعها: عباس محمد بن يونس، غير منشور.
10- يقصد المناطق المحرمة والمحتشدات.
11- سياسة جديدة لم يألفها الجزائريون.
12- البكاء.
13- الدبابات ذاهبة وراجعة باستمرار.

العسكر روش جديد[1] عامل تجنيد على من ينفص وايزيد فسط سركلنا[2]
لا هوبه[3] لا تجييد كان التلبيـــد داير بينا التهديد والعيب[4] اوصلنـا
لا شفنا انهار السعيد لازهينا عيد[5] شده او غيظ او تنكيد والبغو اقتلنـا[6]

أيضا يصف لنا الشاعر المجاهد المرحوم علي أحمد بن سعد نفس الحدث والمتمثل في إقامة المحتشدات ولكن بعد مضي ثلاث سنوات، وأثر ذلك على أهل المنطقة، حيث يذكر أن الثلاث سنوات التي مرت على أهله وعشيرته من أولاد سيدي عبيد كانت عسيرة، إذ تم حشرهم في منطقة واحدة ضيقة لذلك لم يستطيعوا أن يفعلوا شيئا تجاه الثورة التحريرية وتقديم المؤن لها، كما أن المحتشدات فرقت بين أبناء العائلة الواحدة، ويصف لنا أن المؤن للمحتشدين أصبحت تعطى لهم بوصولات مدققة حسب عدد أفراد العائلة وبكميات أقل من الحاجة، أوصلهم ذلك إلى تفاقم الأمراض فيقول:

لينة ثلاث سنين يا معشر الإسلام نترجوا في الروف من عند المولة
محشورين[7] تقول خاطر في حمـام ضيق ما عرفوش واش يساووله[8]
مولاه مسيكين ما عندوش قـــوام[9] واللي مستاسعين مابو يخوولـه
كثير الأمة عالها[10] كان التخمـام حية في الدنيا وهي معلولـــة

1- وجوه جديدة وشبان تم استدعاؤهم من فرنسا بعد اندلاع الثورة التحريرية لتدعيم القوات الفرنسية.
2- يقصد حشد أهل المنطقة في مكان واحد.
3- جنود لا يهابون ويتصرفون كما يشاؤون مع السكان داخل المحتشدات.
4- الممارسات المشينة.
5- لم نفرح حتى في الأعياد والمناسبات.
6- عباس يونس بن سلطان: المصدر السابق.
7- من الحشر وذلك داخل المحتشدات.
8- يفعلون له.
9- الفقر والفاقة والاحتياج.
10- سبب لها العلل والأمراض.

صار علينا عام ما صارش قـــدام[1] لا عند الأولين ولا عند أذولــة[2]
فرقنة[3] كيما الكرشة[4] على الأسهام واللي كان طويل نقص من طوله
حتى قسم[5] العامة عاد بالأقـــلام[6] بالورقة والبون[7] من عند الدوله[8]
هذا وعد الله ماشو من الحكـــام رب ان صورنا يدبر في العولــة[9]

وهذا الشاعر الحاج علي سعد بن عبد الله يصف في إحدى قصائده استعدادات جنود جيش التحرير الوطني لحوض معركة ضد جيش العدو الفرنسي، لقد ذكر كيف تم التشاور والتخطيط للمعركة جماعيا، وتجهيز الأسلحة المتمثلة في بنادق من نوع ثماني، وتزودوا بالذخيرة الحية، وبفضل تعبئتهم استطاعوا التغلب والانتصار على الجنود الفرنسيين الذين تطايرت قبعاتهم في كل مكان وتعرضوا للرصاص الذي اخترق صدورهم.

حزب الجندية الله ينصر حزب الجندية دنوا في الكفار قصية
دنوا معناهـــم وتشاوروا على ما يرضاهم لموا بعضاهـــم كل أتى هز ثمونيـــة

1- من قبل.
2- هؤلاء.
3- فرق بيننا، يتحدث هنا عن الجزائريين الذين فرقهم خط شال وموريس فمنهم من بقي شرق الخط والآخر غربه، هذا منع أفراد القبيلة الواحدة من التواصل.
4- تقسيم أحشاء الأنعام بين مجموعة من الناس.
5- ما قسمه الله للناس من رزق.
6- قامت فرنسا بإحصاء أفراد الأسرة الواحدة داخل المحتشدات وأمدتهم بالمؤن حسب العدد طبعا بكميات ضئيلة جدا.
7- الوصل الذي يقدم لرب العائلة للتموين بحصته من المواد الغذائية وغيرها.
8- يقصد الإدارة الفرنسية القائمة على المحتشدات.
9- علي أحمد بن سعد: المرجع السابق، ص41.

والرايس[1] جاهم واتكلم كلمات معاهـم حتى دماهـــم[2] واتفقو على حلقة بيـــة
بيدو وازاهـــم[3] وارفع الصوت وزهاهـم[4] قال لهم هاهـــم[5] نال لول وانتم تاليـــة[6]
واركح بلاهـم[7] ما بين السافل واعلاهـم[8] صحصاح قضاهم لبراطل[9] قعدت مرميـة
الزربوط[10] شواهم لا حايد[11] لا با يخطاهم فرخ في اعضاهم بطاطة[12] على سوح الربة[13]

أما الشاعر ربيعي الصادق بن محمد رحمه الله وعلى لسان صديق عمره بونوارة سعد[14] فقد تنوعت قصائده بين وصف المعارك ووفد المفاوضات ووصف اللاجئين الجزائريين في الشقيقة تونس، وكذلك التطرق إلى الخونة.

1- قائد المجموعة.
2- بث فيهم روح القتال.
3- نظم صفوفهم.
4- أفرحهم.
5- انظروا ها هم الأعداء.
6- أنا الأول وأنتم من ورائي.
7- بدأ القتال شبهه بالبلاء الذي نزل طبعا على الجنود الفرنسيين.
8- من أسفل ومن أعلى.
9- القبعات.
10- الرصاص.
11- أصابهم ولم يخطئهم.
12- اخترق صدورهم وصولا إلى الرئة.
13- محمد الزين ربيعي: حصة فخار زمان، إذاعة تبسة الجهوية، 06- 12- 2006 م.
14- بن مصباح ولد سنة 1936 م بأولاد سيدي عبيد، بئر العاتر، اشتغل بالتجارة منذ سنة 1957 م إلى غاية اليوم، صديق للشاعر منذ 1957 م، حيث يلتقيان بالمحل للاستماع إلى الأشعار، سماه شاعر الثورة ووصفه بالمخلص. مقابلة يوم 11- 11- 2017 بمنزل المعني بالأمر الكائن بحي هواري بومدين، بئر العاتر، على الساعة 10 و15د.

ففي هذه القصيدة يتغنى الشاعر بوطنه الجزائر مبرزا البعد الوطني مفتخرا بشعبها متباهيا بالسيد أحمد بن بلة المتواجد في السجون الفرنسية بعد حادثة اختطاف طائرة الزعماء المشهورة والتي كانت بتاريخ 22 أكتوبر 1956 م، كونه عضوا في الحكومة المؤقتة والتي تأسست في 19 سبتمبر 1958 م برئاسة فرحات عباس الذي كان يتابع سياسة ديغول بعد وصوله إلى السلطة بعد سقوط الجمهورية الفرنسية الرابعة، ومدى حرصه على أخذ حق الجزائريين كاملا، ثم يذكر شخصية كريم بلقاسم قائد الوفد المفاوض وكيف يخاصم من أجل الحصول على الحق في الاستقلال، حيث كان أول الوفد عندما توجه إلى قاعة المفاوضات، لكنه بقي مكانه واقفا حتى يعطي دعاية أكبر لهذه المفاوضات وذلك بإعطاء فرصة أكبر للصحفيين لأخذ صور له لتدعيم أخبارهم في الصحف التي ينشطون بها.

تحيا الجزائر واسمها يتعلا[1] يعيش شعبها ورئيسها بن بلة
فرحاتها[2] ومسني وحارز[3] ترى ديغول واش يدني[4]
غير أحسبوا في حقنا متهني لا يزبلحوه[5] الغير لا يحصلا
كريم بلقاسم على حقنا بين الدول يخاصم
في أول الوفد نزل وبقى راسم[6] لين عقب[7] المصورين الكلا
وهبط على قلب العدو مواسم وحى صهيهم[8] قبل ما يوصلا
وانزل بومنجل عشرين ماضي في الشهر موجل[1]

1- يسمو ويعلو.
2- فرحات مكي عباس.
3- مترقب.
4- ماذا سيفعل.
5- لا يستطيعون خداعه نظرا لتمرسه.
6- واقف في مكانه.
7- إلى أن مر جميع الصحفيين.
8- أدرك خططهم ومخططاتهم.

وجت الصحافة دايرة وتسجل يلقوه ما عندوش حتى حلا
في الوقت المحابيس[2] بيها عجل وحبس الضرب[3] بطل حين الطلا[4]

في إطار التواصل والاستمرارية ها هو الشاعر رقية عبد القادر[5] ينحو منحى آبائه وأجداده، قتنفجر شاعريته محررة قصائد عن الثورة التحريرية إحداها تحمل عنوان: الاستقلال والحرية، مستهلا قصيدته بأن الشعب الجزائري قد صمم فعلا على احتضان الثورة، وأخذ قرارا حازما في ذلك لا رجعة فيه مهما كانت ردة فعل المحتل، كما ينوه بدور جيش وجبهة التحرير الوطني الذي قرر تفجير الثورة في الفاتح من نوفمبر 1954 م، نظرا للسياسة التعسفية التي طبقتها إدارة الاحتلال الفرنسي من خلال تطبيق قوانين استثنائية على الجزائريين، الذين عانوا الويلات من ذلك، كما نوه بدور الوفد الجزائري المفاوض الذي كان مفاوضا عنيدا ورفض كل العروض الفرنسية واستمسك بوحدة الجزائر إلى أن حقق الاستقلال التام بتاريخ 05 جويلية 1962 م.

نبدا بالثورة ومبداها والشعب الراية علّاها بالروح وبالدم فداها وعزم يجيب التحرير.

الشعب خذا قرارو عزمْ وللثورة خرج مصمّمْ ورفعها راية وعلمْ ضد الظلمة والتهجير.

1- قضية اغتيال علي بومنجل سنة 1957 م.

2- المساجين.

3- ضرب المساجين الجزائريين وتعذيبهم.

4- محمد الزين ربيعي، حصة فخار زمان، إذاعة تبسة الجهوية، 03- 12- 2007 م.

5- المشهور بـ"عبد السلام"، المولود بتاريخ 09- 10- 1965 م بجبل العنق، بئر العاتر، مدير مدرسة مبارك الميلي، بئر العاتر، تبسة.

والجيش على الساحة عمْ خارج للميدان صدمْ والجبهة زاداتو تممْ بسياسة وحكمة وتدبير.

وتحدد مصيرو تحسمْ وخاض معارك وملاحمْ و قدم تضحيات جممْ بإيمان وصبر وتكبير.

وأول نوفمبر تختم من بعد صراعات ودم و الارواح اللي سقطت ثم بلا رحمة وسابق تحذير.

الشي اللي سمعناه حتم مقدرّ في علمو متمّم ضارب غيمو ومظلّم الناس عليها نهار كبير.

ذاقت من مر العلقم رشفاتو رشايف وجغم شرباتو وما عاد يهم وبلعاتو حاف صناصير.

ولحڤها من الظلم سهم عذابات ودمّار ودم وتشريد وحرڤان خيم ونهبان ودك وتكسير.

حياة ضنكى مليانة غم هول لا يحكيه الفم و يعجز عن وصفو القلم أسامع شوف واش يصير.

نبدا بالثورة ومبداها والشعب الراية علّاها بالروح وبالدم فداها وعزم يجيب التحرير.

سبع سنين حسابي تم مليانة جراريع وسم و الشعب المسكين سأم من طول الشدة والحال.

وكي سهّل ربي وحكم وجاد على الأمة ونعم تنكس الغاصب تهزم بطعم الخسّة والإذلال.

وقدّم للحوار بكمْ مطبّس راسو ومسلّم ڤدام صناديد عظُم صيودة ومعاهم الاشبال.

وتفاجأ بيهم تصدم وفرضو عليه شروط لزَم لا نخلو شبر ولا قدم ولا ذرة هذا مُحال.

ومن بعد الهانة والهم صبحنا في نعمة وسلم و في نسيم الحرية نشم وهكا تحقق الاستقلال.

في الشهر السابع تعلم وفي الخامس منّو ترسّم مكتوب بحبرو دايم في 62 كمال.

واعترفت بينا الأمم ورايتنا مرفوعة ثم والعالم بينا يهتم وصرنا قدوة للأجيال.

الشاعر للقصيدة ختم اللي بيها حضر وساهم وعلى اللي استشهد نترحّم والميت واللي مازال.

نفكر في الوطْن نخمّم ان شاالله ما نشوفوش سقم بجاه العالي والعالمْ نرتاح ويهنا لي البال.

نبدا بالثورة ومبداها والشعب الراية علّاها بالروح وبالدم فداها و عزم يرجع الاستقلال[1].

خاتمة

في الأخير يمكن القول أن زخم شعر أولاد سيدي عبيد (منقول مشافهة وهناك محاولات محتشمة لتدوينه خوفا من الضياع) يحمل في قصائده المتنوعة آمال وآلام وطن وشعب رضخ تحت نير محتل غاصب، لكن شرارة الثورة التحريرية الجزائرية المباركة عجلت برحيله، لذلك كان حضور شعراء أولاد سيدي عبيد قويا جسدوا من خلال قصائدهم الشعبية أروع الصور والحقائق عن الثورة وأبطالها وقادتها ومعاركها، كما وصفوا معاناة شعب طبقت عليه القوانين الزجرية، وموورست في حقه أبشع أنواع الإجراءات.

1- لقاء مع السيد رقية عبد القادر بتاريخ 11 -11- 2017 م على الساعة الثامنة مساء بمدرسة مبارك الميلي، بئر العاتر تبسة.

من خلال الدراسة السابقة يمكن القول أن الشعر الشعبي لأولاد سيدي عبيد رسخ جزءا من الذاكرة الشعبية والهوية الوطنية بين ثنايا المجتمع العاتري التبسي رغم انتشار مظاهر الأمية التي خلفتها السياسة الاستعمارية الفرنسية في مجال التعليم، وذلك من خلال:

- كثرة الأنماط في الشعر الشعبي وسهولة حفظه مشافهة.

- ترديده باستمرار في المناسبات خاصة الأعراس والسهرات الليلية مع مجانية تقديمه.

- إرتباط الشعر الشعبي بواقع السكان والذي يرفع الشعر الشعبي ويطبعه بطابع متميز بالبساطة والعفوية بحيث يعبر عن خواطر قائليه أو ناقليه دون محاولات التفنن والإختراع، كونه عالج وتطرق إلى عديد القضايا.

- التعدد والتنوع الكثيف في الموضوعات حيث تطرق الشعر الشعبي لجل المواضيع والأنماط، إضافة إلى الثورة هناك قصائد عن التصوف، الأحداث التي مرت بها الجزائر بعد الاستقلال، مواضيع الساعة، المجال الاجتماعي، وغير ذلك.

- يرمز الشعر الشعبي إلى نصوص موروثة منقولة مشافهة مغلفة بالطابع الوجداني من خلال التطرق إلى ذكر الأولياء الصالحين، والعاطفي من خلال القصائد الغزلية التي تتغنى بالمرأة، ويعبر عن التراث الشفوي، وهو تعبير عن كل مقدس وعظيم من تراث المجتمع العاتري التبسي.

- يشترك الشعر الشعبي مع غيره من ألوان الفنون الشعبية الأخرى في انتقاله مشافهة عن طريق الرواية الشعبية، لا ننكر بعض المحاولات الفردية لجمع وكتابة بعض الأشعار بالمنطقة والتي تحتاج إلى التشجيع.

- الصفة الجماعية لآداء الشعر الشعبي، بمعنى أن أي شخص له ميول يستطيع أن يشترك في أداء القصائد، لكن هذا لا يعني عدم وجود قصائد شعر شعبي فردية.

أما التوصيات نذكر منها:

- جمع ونسخ هذا الموروث الثقافي الشفوي في سجلات ودواوين سواء من طرف الجمعيات أو الهيئات الثقافية.
- تشجيع المهرجانات الشعبية المحلية والوطنية والدولية.
- تدعيم الجمعيات المحلية المهتمة بإحياء هذا التراث.
- إنجاز دراسات أكاديمية.
- تشجيع شعراء المنطقة الشباب الذين واصلوا حمل المشعل ممن لهم ملكة في هذا المجال.

قائمة المصادر والمراجع

1) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي 1550- 1830، ط01، دار الغرب الإسلامي بيروت، لبنان، 1998، ج02.
2) الأزهر الماجري، القبيلة الولائية والاستعمار؛ أولاد سيدي عبيد والاستعمار الفرنسي في الجزائر وتونس 1830 م- 1890 م؛ مسار التفكيك وآليات المقاومة، المطبعة المغاربية للطباعة والإشهار، تونس، 2013.
3) بيار كاستال، حوز تبسة، تر: العربي عقون، مطبعة بغيجة حسام، الجزائر، 2010.
4) التلي بن الشيخ: دور الشعر الشعبي الجزائري في الثورة1830-1945، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983.
5) رزايقية محمد الصالح، أضواء على تاريخ سيدي عبيد الشريف، دار هومة، الجزائر، 2011.
6) عباس يونس بن سلطان، سجل خاص بالأشعار، جمعها: عباس محمد بن يونس، غير منشور.
7) عبد الوهاب شلالي، نظرات فاحصة في تاريخ تبسة وجهاد أهلها في القرن 19م؛ دراسة تاريخية من خلال الكتابات الفرنسية، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2006.
8) علي أحمد بن سعد، سجل أشعار، جمع: علي خالد، غير منشور.

9) عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، البداية والنهاية، ط01، دار الإمام مالك، الجزائر ، 2006، ج 03.
10) مجدي محمد شمس الدين، الأغنية الشعبية بين الدراسات الشرقية والغربية، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة مصر، 2008.
11) محمد الزين ربيعي، حصة "فخار زمان" مسجلة مع ابنة المرحوم بإذاعة تبسة سنة 1996 م، ومع صديقه بونوارة سعد نوفمبر2008 م.
12) محمد الزين ربيعي، حصة فخار زمان، إذاعة تبسة الجهوية، 03- 12- 2007
13) محمد الزين ربيعي، حصة فخار زمان، إذاعة تبسة الجهوية، 06- 12- 2006
14) محمد سعيد محمد، قراءات في أغاني الرحى، اللجنة العلمية الشعبية العامة للثقافة والإعلام، بنغازي ليبيا 2006.
15) محمود براهم، سيرة الشيخ سيدي عبيد الشريف والتأثير الديني والجهادي لزاويته، (د.د.ن)، الجزائر 2005.
16) الهادي بشوات، كتاب التعريف بالشيخ سيدي عبيد الشريف، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر د.س.
17) يحي بوعزيز، ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، ط01، دار البعث للنشر والتوزيع قسنطينة، 1980.